

على شرف الذكرى الـ 150 لميلاد لينين

مدى تماثل المقاربة اللوكسمبورغية

مع المقاربة اللينينية للظاهرة الامبريالية

د. صالح ياسر

يحمل كتاب روزا لوكسمبرغ الـ اهم " تراكم رأس المال " عنوانا فرعيا هو " مقدمة لتفسير الإقتصادي للإمبريالية ". وفي عملها هذا كانت لوكسمبورغ تهدف لاثارة الإنتباه الى السياق **aspekt** الخارجي للمرحلة المعاصرة للرأسمالية آنذاك. وبهذا الصدد كتبت قائلة " تمثل الإمبريالية التعبير السياسي لعملية تراكم رأس المال في معركته التنافسية من أجل الوسط غير الرأسمالي العالمي الذي لن يخضع لسيطرة أحد لحد الآن. وهذا الوسط ما زال يشغل، جغرافياً، مساحات هائلة من الكرة الأرضية. ولكن لو أردنا قياس هذه المساحات بالكتلة الهائلة لرأس المال المتراكم للبلدان الرأسمالية القديمة، المكافح من أجل أسواق لتصريف منتوجه الفائض (الإضافي)، ومن أجل رسملة فائض قيمته، وكذلك تحويل مناطق مساحات الثقافة ما قبل الرأسمالية اليوم الى مناطق رأسمالية، ولو أردنا مقارنته بالمستوى العالي المتحقق لتطور القوى المنتجة للرأسمالية، لوجدنا أنها ستظل جد ضئيلة. وهذا الوضع يجد كذلك من نشاط رأس المال الدولي على الصعيد العالمي " ¹.

لنتوقف قليلاً عند هذا الإقتباس، والذي كان موضوعاً للعديد من الملاحظات الإنتقادية. منذ اللحظة الأولى يمكن أن نلاحظ الفارق الأساسي بين تناول الإمبريالية من طرف (لينين) في 1916 وتناول روزا لوكسمبرغ في " التراكم " الصادر في عام 1912 ².

في عمله الهام للغاية " الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية " طرح لينين، في المقام الأول، سيطرة/هيمنة الإمبريالية قائلاً : " ولئن كانت هناك ضرورة لتعريف الإمبريالية تعريفاً غاية في الإيجاز، ينبغي أن يقال : الإمبريالية هي الرأسمالية في مرحلة الإحتكار. ومثل هذا التعريف يضم الأمر الرئيسي، لأن الرأسمال المالي هو نتيجة اندماج رأسمال بضعة من البنوك الإحتكارية الكبرى برأسمال إتحادات الصناعيين الإحتكارية، هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى إن تقسيم العالم هو إنتقال من سياسة إستعمارية تشمل دون عائق أقطار لم تستول عليها بعد أي دولة رأسمالية الى سياسة إستعمارية تقوم على إحتكار حيازة بقاع الأرض المقسمة بأكملها " ³. ويشير لينين، في المقدمة، الى الأسباب الداخلية للإمبريالية: تراكم رأس المال، تركيز وتمركز الإنتاج ورأس المال تؤدي بالضرورة - حتماً - الى إنبثاق الإحتكارات، التي تهيمن على كل الحياة الإقتصادية للبلدان الرأسمالية المتطورة ⁴.

¹ روزا لوكسمبورغ، تراكم رأس المال، مصدر سابق، ص 565

² لمزيد من التفاصيل يمكن العودة الى العمل العام لكريستيان بالوا. انظر : كريستيان بالوا، الاقتصاد الرأسمالي العالمي، المرحلة الإحتكارية والامبريالية الجديدة. ترجمة عادل عبد المهدي. دار ابن خلدون، بيروت 1978، وخصوصاً الفصل الثاني من الكتاب.

³ لينين، الإمبريالية اعلى مراحل الرأسمالية، دار التقدم، موسكو 1967، ص 115، أو لينين، الأعمال الكاملة، المجلد 22، ص 304 - باللغة البولندية.

⁴ لينين، الإمبريالية اعلى مراحل مراحل، مصدر سابق، ص 116.

إن **الإسهام اللينيني**، في سعيه لتنظيم الطور الجديد الذي بلغته الرأسمالية في صيرورتها، لم يقتصر على شرح التحولات التي حدثت في الاقتصادات الرأسمالية خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين، وإنما، وهذا هو الأهم، أن هذا الإسهام قد **أبرز الجوانب السياسية والتاريخية** لتلك التحولات.

إن **تصدير رأس المال** هو **نتاج** الميول المتناقضة لتطور عملية التراكم الرأسمالي. فمن المعلوم أن عملية إعادة الإنتاج الرأسمالية تجد تعبيرها في ظهور " **فوائض نسبية** " لرأس المال في البلدان المتطورة. وهذه " **الفوائض** " تظهر **كنتيجة** لنشاط القوانين الاقتصادية للرأسمالية وبشكل رئيسي قانون الميل النزوعي لمعدل الربح نحو الانخفاض. هكذا تصبح مشكلة " **تحقيق الربح الرأسمالي** " من المتطلبات اللازمة لاستمرار التوسع الرأسمالي. ولما كانت هناك **محددات داخلية** تحد من استثمار رأس المال الجديد (إفقار الجماهير، نمو رأس المال بمعدلات أسرع من السوق الداخلية الخ) فلا بد من **إيجاد منافذ خارجية** لضمان سير استمرار الرأسمالية واستمرار عملية التراكم الرأسمالي. ولهذا فإن **تصدير رأس المال** يعتبر **واحداً** من أشكال حل تناقضات التراكم الرأسمالي ولكنه في الوقت نفسه يشكل **مصدراً** لازدياد حدتها لاحقاً.

تشكل حالات الخلل الاقتصادية المتزايدة في العمليات الداخلية لاستثمار رأس المال، والتراكم المفرط الطويل الأمد، والتضخم، والأزمات البنوية المتعددة الصعد، تشكل **الخلفية** للاستراتيجية التوسعية للإمبريالية. إن هذه العمليات **تُعيق** إعادة الإنتاج الرأسمالي " الطبيعي "، **وتولد** ميلاً ليس بالجديد بالنسبة لرأس المال الاحتكاري، لتصعيد التوسع في الأسواق العالمية. غير أن **الدور المتعاظم** لرأس المال وتوسعه، على المستوى العالمي، لا يستهدف فقط الهيمنة على الأسواق بل أنه يشكل **الأداة الرئيسية** - على المستوى الاقتصادي - لإعادة انتاج علاقات الهيمنة/التبعية.

ولهذا فإن **الاقتصار** على تحليل العوامل الاقتصادية الصرفة، لوحدها، غير كافٍ، بحد ذاته، **لاكتشاف** جذور توسع رأس المال - في إطار أزمته البنوية - في حركته على المستوى العالمي، إذ تلعب دوراً هاماً في هذا المجال **اتجاهات التطور السياسي، ومستوى الصراع الطبقي** وحدته، على المستوى العالمي.

ومقابل ذلك فإن **روزا لوكسمبورغ** كانت على وعي بأهمية **الإحتكارات ورأس المال المالي كسفن للإمبريالية**. ويمكن العثور، في العديد من كتاباتها، على إجابات بهذا الخصوص، على سبيل المثال لا الحصر في: **إصلاح إجتماعي أم ثورة؟، أزمة الإشتراكية الديمقراطية**، حيث **عرضت في هذه الأعمال** العديد من الملاحظات المهمة عن نشاط الإحتكارات. وإذا كانت في كتابها " **تراكم رأس المال** " قد تجاوزت هذا السياق الرئيسي للإمبريالية، فإنها لا تقوم بذلك من خلال **إهمال أو عدم إحترام، ولكن بطريقة واعية، مركزة**

(ومثيرة لإنتباه القراء) على السياق الإلحافي، الكولونيالي، الخارجي للإمبريالية. وبهذا الصدد كتبت قائلة " إن دراسة قضية الكارتلات أم التروستات، كظاهرة مميزة للطور الإمبريالي، كافية على أرضية الصراع التنافسي الداخلي للمجموعات المختلفة للرأسمالية من أجل **Monopolisation** الإتجاهات الموجودة للتراكم ومن أجل تقسيم الأرباح، وهذه كلها تقع خارج إطار هذا العمل " ⁵.

إنطلاقاً من الإقتباس السابق، ومن إجابات أخرى للوكسمبورغ، يمكن إستخلاص إستنتاج مهم قوامه أنها كانت تعرف جيداً أن الإمبريالية تمثل مرحلة خاصة (مستقلة) من مراحل الرأسمالية، وإن الكارتلات والتروستات، أي الأشكال المبكرة للإحتكارات، تمثل الظواهر الخاصة والنموذجية لهذا الطور. تهدف الإحتكارات، بحسب لوكسمبورغ، الى إبتلاع المناطق الإستثمارية الأكثر جاذبية، أي إحتكار " مناطق التراكم " ، بهدف إنتزاع أرباح ما فوق احتكارية **Super** عالية على حساب الرأسماليين غير المنظمين. وباعترافها بالأهمية الكبيرة للإحتكار ورأس المال المالي، تكون روزا لوكسمبورغ قد أقرت بأن الخاصية المميزة للإمبريالية تكمن في طابعها العدواني والإلحافي في علاقتها ببلدان " العالم الثالث "

إن التعريف أعلاه المقتبس من قبلنا للإمبريالية، الذي قدمته روزا لوكسمبورغ، ينشغل فقط بالسياق الخارجي لهذه المرحلة من مراحل الإمبريالية، أي أنها تثير الاهتمام الأساسي الى مسعى البلدان الرأسمالية المتطورة الى إبتلاع (إحتواء) الأوساط ما قبل الرأسمالية، وهذا يتم أساساً من وجهة نظر تسهيل عملية تراكم رأس المال. غير أن العديد من التجارب اللاحقة لم تؤكد مشروعية هذا المدخل أو هذا التناول، ولكن من المهم التذكير بأن كتابها " تراكم رأس المال " يثير الإنتباه الى سياسة ضم المستعمرات (سياسة الإلحاق)، والى نتائج وأساليب نشاط الإمبريالية في هذا المجال. ومن المؤكد أن هذا السياق مهم جداً، وفي مرحلة إنبثاق عملها الأهم: " تراكم رأس المال " حيث كان يعد هذا واحداً من السياقات المقررة.

مدى تماثل الأطروحة اللوكسمبرغية مع المقاربة اللينينية

بحسب الاقتصادي الفرنسي المعروف (كريستيان بالوا)، لا يخلو الخط النظري العام، لمسألة الإمبريالية، بالنسبة الى روزا لوكسمبورغ، من تماثل عميق مع خط لينين ⁶. ولكن لإثبات وجهة النظر هذه، لا بد من الإشارة الى أن القسم الأول والثاني من " تراكم رأس المال "، الجزء الأول، هو إعادة للموضوعات الرئيسية المثارة من قبل لينين، في نقاشه، في 1893 - 1899، سواء مع الشعبيين الروس، أو مع الماركسيين الشرعيين. كل ذلك فيما يتعلق بمسألة السوق الخارجية على أساس أنها مجال تحقيق الناتج الإجتماعي بشكل عام، ولفائض القيمة بشكل خاص. وبعد دراسة هذه الأمور، طرحت لوكسمبورغ، مسألة الإمبريالية باعتبارها الحل لتناقضات نمو الإنتاج الرأسمالي (الجزء الثاني).

⁵ روزا لوكسمبورغ، تراكم رأس المال.....، مصدر سابق، ص 597.

⁶ لمزيد من التفاصيل قارن: كريستيان بالوا، الاقتصاد الرأسمالي العالمي.....، مصدر سابق، ص 70 ولاحقاً، وقد اعتمدت اساساً، في صياغة هذه الفقرة، على هذا الفصل.

ومنذ البداية، يبدو بأن أسس المسار النظري تتماثل بين لينين وروزا لوكسمبورغ، ولكن هذا التماثل لا يكون، في الحقيقة إلا على مستوى المسألة المطروحة، وليس على مستوى القاعدة النظرية التي ينطلق منها بحث مسألة الإمبريالية. ففي حين عالج لينين، عند مناقشته للشعبيين والماركسيين الشرعيين، مسألة تحقيق الناتج الاجتماعي، إنطلاقاً من عملية الإنتاج ذاتها (الكتاب الأول)، وذلك لتحقيق الترابط النظري لمسألة السوق الخارجية، تنطلق روزا لوكسمبورغ عند بحث المسألة من " عملية التداول"، وهي " تعترف" بوضوح كامل بإسلوب طرحها للمسألة في " مقدمة... " 1912، فهل سبب ذلك إنطلاقة خاطئة؟ يجب كريستيان بالوا انه لا يعتقد ذلك " لأن هذه المنظر العظيمة - التي يعترف بها لينين - تدرك النقطة المتميزة للتحليل الماركسي، التي هي وحدة عملية الإنتاج وعملية التداول باعتبارهما عملية مشتركة للإنتاج الرأسمالي " ⁷. ولكنه من جهة أخرى يستدرك قائلاً: " إن خطأها النظري، القليل بالنسبة لشهرتها النظرية، لا يبقى بدون نتائج تؤثر على الممارسة السياسية. إن خطأها هو محاولة اعتبار مخططات إعادة الإنتاج الموسع لرأس المال الاجتماعي، كنقطة متميزة لهذه الوحدة. وتستطيع روزا لوكسمبورغ، بكل تأكيد، إثبات أن ماركس نفسه يُعرّف هذه المخططات باعتبارها الممثلة لوحدة عملية الإنتاج و التداول. إلا أن ما تنساه روزا لوكسمبورغ هو أن هذه المخططات، هي وحدة عملية الإنتاج وعملية التداول، خارج المحددات الجديدة التي تنتجها مخططات إعادة الإنتاج الموسع حسب دياكتيكها الخاص. ومن هنا يتأتى سوء الفهم لدى روزا لوكسمبورغ ⁸.

ومع ذلك، يحمل تحليل روزا لوكسمبورغ مساهمة مركزية صحيحة نظرياً، وهي المتعلقة بتحديد تناقضات نمط الإنتاج الرأسمالي، رغم ذلك المكان الخاطئ الذي ترتبط به، أو الطبيعة الخاطئة، جزئياً، للممارسة السياسية الناتجة عن ذلك وتحفظ نظرية الإمبريالية بكل أبعادها الصحيحة، وذلك عندما تعالج مسألة طبيعة الإمبريالية باعتبارها النفي الخارجي لتناقضات نمط الإنتاج الرأسمالي ⁹.

تحديد تناقضات نمط الإنتاج الرأسمالي في وحدة عملية الإنتاج وعملية التداول

يجب أولاً، أن نشير الى بعض التقدم النظري، الذي حصل هنا، والذي يُلقى الضوء على " الخرق " النظري الذي تضمنه عمل روزا لوكسمبورغ. يجري الحديث هنا عن البناء المفاهيمي، كما يشير بذلك الاقصاديان الكبيران بول باران و بول سويزي، مع التعبير المستخدم وهو " نمط توليد و إمتصاص الفائض الإقتصادي " . ولكن ما تكشفه روزا لوكسمبورغ، هو تحديد تناقضات نمط الإنتاج الرأسمالي في وحدة عملية الإنتاج و التداول، وفي نهاية الأمر فإن ما يثيرها ، هو مسألة نمط تولد و إمتصاص الفائض، كمكان نظري لتوازن التناقضات.

إن خطأ روزا لوكسمبورغ، عندما تدرس بشكل نقدي مخططات إعادة الإنتاج الموسع للرأسمال الاجتماعي، أن تيرر نقدها إلا، بإدخال الدور المحدد للتناقضات كما حلها ماركس

⁷ المصدر السابق، ص 71.

⁸ المصدر السابق، ص 71.

⁹ نفس المصدر، نفس الصفحة.

في الكتاب الثالث من "الرأسمال"، وبهذا فإنها تشرح وجهة نظرها بدون غموض كما يلي:

"وفي النهاية، فإن المخطط يكون في تناقض مع نظرية السيرورة الرأسمالية الشاملة، ومع تطور هذه السيرورة المعروضة بشكل إجمالي في الكتاب الثالث من "الرأسمال". إن الفكرة الأساسية لهذه النظرية هي التناقض المتأصل بين القابلية غير المحددة لتوسع قوى الإنتاج، والقابلية المحدودة لتوسع الإستهلاك الإجتماعي المرتكز على علاقات التوزيع الرأسمالي"¹⁰.

وبإدخالها دور التناقضات في مخططات إعادة الإنتاج الموسع - وهو ما يختلف عن إعطاء تعريف لهذه التناقضات، إنطلاقاً من المخططات بمفرها، **تخلط** روزا لوكسمبورغ بين هذين المستويين للطرح - وباستخدامها لهذا التناقض، فإنها **تنقاد** الى طرح مسألة التناقض بين **خلق** و**تحقيق** الفائض الإقتصادي، وذلك ما سيعطي لهذا الإستخدام معنى. حينذاك، وعلى هذا المستوى النظري، يمكن سد الحلقة المفرغة لحركة التراكم، أي التناقض بين حركة التراكم - الخلق، وتصريف الفائض الذي يبحث عن الإستثمار، مما يدعو روزا لوكسمبورغ الى طرح السؤال التالي: **من أين يأتي الطلب المتزايد بإستمرار، الذي هو الأساس للتوسع المتزايد للإنتاج في المخطط الذي يضعه ماركس؟**

ويلاحظ المرء أن الأسس النظرية لدخول هذا التناقض تكون غائبة، على الأقل بالنسبة للرأسمالية الإحتكارية، لأن التناقض - بالنسبة لروزا لوكسمبورغ - بين الفائض المتزايد وإمتصاصه المحدود في الأسواق التي يحددها العمل الداخلي للنظام، لا تؤدي الى أن تعكس النتائج المتناقضة التي تقوم بعملها إنطلاقاً من قانون إتجاه معدل الربح نحو الإنخفاض، بإعتباره سمة ثابتة للرأسمالية التنافسية. وبهذا الصدد تقول روزا لوكسمبورغ: "لا يؤدي هذا التناقض، سوى الى عكس قانون إتجاه معدل الربح نحو الإنخفاض"¹¹. واستنادا الى هذا الطرح يستنتج كريستيان بالوا الفارق في التحليل الذي اجراه كل من لوكسمبورغ ولينين كما يلي: "ففي حين تحلل روزا لوكسمبورغ تناقضات نمط الإنتاج الرأسمالي في المرحلة التنافسية، يقوم لينين بتحليلها فيما يخص المرحلة الإحتكارية، وقد يبدو ذلك للوهلة الأولى كموقفين متعارضيين، غير أن لوكسمبورغ تكمل لينين على مستوى نمط خلق وتحقيق الفائض"¹².

الإمبريالية، كحل لتناقضات نمط الإنتاج الرأسمالي

وكما فعل لينين، فإن روزا تلجأ، أولاً، الى تحليل التناقضات الناتجة عن بنية نمط الإنتاج الرأسمالي، بحيث تكون الإمبريالية **النفي** لهذه التناقضات وذلك من خلال تناقض رئيسي، الا وهو التناقض القائم بين خلق و تحقيق الفائض. وفي ضوء ذلك، لا يمكن أن يأتي حل التناقضات التي تؤثر على إعادة الإنتاج الموسع لرأس المال الإجتماعي - بإعتبارها الموقع

¹⁰ روزا لوكسمبورغ، تراكم رأس المال، مصدر سابق، ص 264

¹¹ روزا لوكسمبورغ، تراكم رأس المال، مصدر سابق، ص 357

¹² كريستيان بالوا، الاقتصاد الرأسمالي العالمي، مصدر سبق ذكره، ص 73.

الذي تندرج فيه هذه التناقضات - إلا من خلال مجالات التصريف التي تقع خارج القطاعات الإنتاجية، أي خارج القطاعين الإنتاجيين الأول والثاني¹³. ولكن سؤالاً مهماً يطرح نفسه وهو: **كيف يمكن حل هذه الإشكالية؟** في مسعاه للإجابة على هذا السؤال، يعتقد بالوا بأنه بالإمكان الحصول على حلين لمجالات التصريف الداخلية أو الخارجية¹⁴.

1. بشرت روزا لوكسمبورغ بإطروحة باران وسويزي، عندما أشارت إلى إمكانية توفر مجالات التصريف (الأسواق) في القطاعات غير الإنتاجية، وذلك فيما يتعلق بمجالات التصريف الداخلية في الرأسمالية الإحتكارية. "ألا يوجد في المجتمع فئات إجتماعية أخرى من السكان لا يمكن حسابهم لا مع العمال ولا مع الرأسماليين: الموظفون، رجال الدين، العلماء، الفنانون؟ أفلا تسعى هذه الأصناف الإجتماعية إلى إشباع حاجاتها أيضاً، أو ليس بإمكانها أن تكون هي بالذات شارية البضائع الفائضة؟".

إن روزا لوكسمبورغ تتخلى فوراً عن هذا الحل، لأنه يحتفظ بمفهوم تنافسي جداً لفائض القيمة أو للفائض، والذي ترتبط أهميته مباشرة بطبقة الرأسماليين. إنها تقول: "ليس بوسع الفئات الإجتماعية هذه، أن تُحسب إقتصادياً، وعلى حدة، ضمن قطاع المستهلكين، لأنها لا تملك الموارد والمستقلة، إذ تعيش طفيلياً على طبقتين كبيرتين: طبقة الرأسماليين وطبقة العمال، بحيث يتضمن إستهلاكها إستهلاك هذه الفئات".

وهنا تخلط روزا لوكسمبورغ بين خلق فائض القيمة، وتحديد الجديد في عملية التوزيع (تحول فائض القيمة إلى ربح على سبيل المثال).

2. وبالنتيجة، لا يمكن لمجالات التصريف أن تكون إلا خارجية، وبوضوح أكثر، لا يمكنها أن تتمثل إلا بالصلوات الخارجية مع الدول الأقل تطوراً. ويكون من وظيفة هذه العلاقات، نفي التناقضات الناشئة عن بنية نمط الإنتاج الرأسمالي، وذلك بضمانها التقدم المستمر لقوى الإنتاج، أولاً، وامتصاص الإنتاج الرأسمالي الفائض، ثانياً. وتؤدي هذه الصلوات إلى إيجاد علاقات "بين الإنتاج الرأسمالي والوسط غير الرأسمالي المحيط به، وبفضل مجموع هذه العلاقات استطاع الرأسمالي في أن واحد، أن يحقق فائض قيمته بشكل نقود من أجل الإستمرار في الرسمة، كما استطاع الحصول على كل البضائع اللازمة لتوسع إنتاجه الخاص، وأخيراً استطاع أن يدمر الأشكال غير الرأسمالية للإنتاج، مما يضمن له علاقة دائمة بقوى العمل يتمكن الرأسمالي بواسطتها من تحويلها إلى بروليتاريا"¹⁵.

تقوم الإمبريالية، التي تلد من تناقضات بنية نمط الإنتاج الرأسمالي، بإقامة علاقات محددة بين البلدان الرأسمالية المتقدمة، والبلدان الأقل تطوراً، وذلك لتهيئ إمتصاص الفائض الرأسمالي مأخوذاً على صعيد واحد، والذي هو تبادل السلع، مما يقود إلى إنقسام العالم بين الأمم الرأسمالية، ومن خلال الناحية الأخيرة هذه تقدم روزا لوكسمبورغ تعريفها للإمبريالية قائلة: "إن الإمبريالية هي التعبير السياسي لسيرورة التراكم الرأسمالي التي تظهر بالمنافسة بين رأسماليي الأمم حول آخر المناطق غير الرأسمالية التي مازالت حرة"¹⁶.

¹³ قارن: روزا لوكسمبورغ، تراكم ..، مصدر سابق.

¹⁴ قارن: كريستيان بالوا، الاقتصاد الرأسمالي العالمي، مصدر سبق ذكره، ص 74

¹⁵ روزا لوكسمبورغ، تراكم ..، مصدر سابق، ص 528

¹⁶ روزا لوكسمبورغ، تراكم ..، مصدر سابق، ص 565.

وبالتحديد، فإن النقاش الذي يتناول كتاب روزا لوكسمبورغ، يدور حول " الإلتباس " الذي يتكون بخصوص النقطتين التاليتين:
- عدم إدراج الكاتبة كيفية ادخال التناقضات في مخططات إعادة الإنتاج الموسع للرأسمال الإجتماعي، بدون أن تحدد هذه المخططات تلك التناقضات ¹⁷.
- الإشارة الضمنية للنموذج التنافسي لتحديد مفهوم الإمبريالية.

وتكشف روزا لوكسمبورغ ببساطة السؤال الذي يتعلق، بمسألة مجالات التصريف التي يفتفيها العمل الداخلي للنظام عبر مرحلة الرأس مالية الإحتكارية. وهنا تبرز الحدود النظرية للبناء لدى روزا لوكسمبورغ بعدم وصولها الى إستنتاجات فيما يخص الرأس مالية الإحتكارية، وهذا ما يشكل جوهر مساهمات لينين وباران و سويزي حول مسألة الإمبريالية. وقد نتج عن ذلك، بأن روزا لوكسمبورغ لم تستطع أن تستخلص، إنطلاقاً من التخلي عن النموذج التنافسي، كافة الحثيات الجديدة، من أجل تعريف الإمبريالية، ومعرفة آلياتها للسيطرة، وأثارها على تطور الأمم التي تتعرض للعلاقات الإمبريالية. وبغض النظر عن هذه الملاحظة فإن بالوا على صواب حين أشار الى أن البناء النظري الذي تقدمه روزا لوكسمبورغ يحمل بذاته الطريق لتعميق نظرية الإمبريالية ¹⁸.

إن تحقيق حدود معينة للرأس مالية في طور الإمبريالية أدى، بحسب الكاتبة، الى كوارث (حروب وثورات)، وإحتدمت بشكل قوي نزاعات الرأس مالية الناضجة، وبالتالي فإن الوجود السلمي اللاحق للرأس مالية لم يعد ممكناً. بحسب عديدين، كانت روزا لوكسمبورغ نصيرة لا تكل لنظرية إنهيار krach الرأس مالية، رغم أنها سعت على الدوام لتجاوز التناول الميكانيكي لمفهوم الإنهيار. وكان هذا المفهوم (المطابق لمفهوم الثورة)، بالنسبة لروزا، مرتبطاً بالدور النشط للعامل الذاتي - الوعي والإستعداد الثوري للطبقة العاملة. لقد خاضت ولمرات عديدة سجالاتاً ضد التناول الميكانيكي والمبتذل لإشكالية " حتمية " إنهيار الرأس مالية، بل إنها توقعت، وفي ظل توفر شروط محددة، ظهور الرأس مالية حتى لفترة طويلة على الصعيد العالمي. كما أنها رفضت، وفي مرات عديدة، نظرية الإنهيار الألي للرأس مالية، وكان موقفها في هذه القضية مطابقاً لموقف عموم يسار الحركة العمالية آنذاك.

ولم تكن روزا لوكسمبورغ لوحدها في هذه القضية بل شاركها العديد من المنظرين الماركسيين ممن أشاروا الى الطبيعة الخاصة لتلك الظروف التي يمكن أن تشكل، وبطريقة موضوعية، حدود وإشتغال النظام الرأسمالي. فقد أشارت مجموعة منهم الى الميل النزوعي لمعدل الربح نحو الإنخفاض، في حين تصور آخرون هذا الحد بصيغة أزمة اقتصادية عامة مرتبطة بأزمة سياسية تهز أركان (أسس) الرأس مالية، أما المجموعة الثالثة فرأت أن الأمر يكمن قبل، كل شئ، في التركيز والتمركز العاصف لرأس المال و الإنتاج، والذي يتسبب في ظهور إحتكارات عملاقة. أما المجموعة الرابعة فقد رأت ذلك كامنا في الإملاق السريع للبروليتاريا وعموم الشعوب. وقد ساد تصور قوامه أن الإمبريالية تحمل في طياتها

¹⁷ وهو ما عبر عنه جاك فالليه في مقاله الموسوم: نظرية الإمبريالية حسب روزا لوكسمبورغ، " الأزمنة المعاصرة "، أب-أيلول 1968، وقد ورد عند كريستيان بالوا، الاقتصاد الرأسمالي العالمي، مصدر سابق، ص 75، هامش 1.
¹⁸ كريستيان بالوا، الاقتصاد الرأسمالي، مصدر سابق، ص 75.

خطر حروب عالمية، وتم الإفتراض، إستناداً الى ذلك، بأن مثل هذه الحروب تعجل بإندلاع الثورة الإشتراكية¹⁹.

¹⁹ لمزيد من التفاصيل قارن: روزا لوكسمبورغ، تراكم رأس المال، مصدر سابق ؛ كذلك: كريستيان بالوا، الاقتصاد الرأسمالي العالمي، مصدر سابق؛ كذلك: الهادي التيموني، الجدل حول الإمبريالية منذ بداياته الى اليوم، مصدر سبق ذكره